



البعد التاريخي للطوبونيميا وأهميتها العلمية

The historical dimension of Toponymy and its scientific importance

د. مسيكة مرادي

جامعة باتنة-1-

merradimassika@gmail.com

ملخص:

تعتبر الطوبونيميا دراسة موسعة لأسماء الأعلام الجغرافية في حيز مجالي مرتبط بظواهر طبيعية وبشرية مختلفة، لها دور بارز في الكشف عن الكثير من الحقائق والدلالات المرتبطة بالإنسان في علاقته مع كل المجالات، فالطوبونيميا تعد الصيغة المعبرة عن مبحث علمي لمعرفة المسارات الكثيرة للتاريخ الجماعي، وتهتم بدراسة وتحليل أسماء الأماكن واستخراج مضامينها المختلفة، وتعتبر أداة قوية من أجل البرهنة على التجذر التاريخي للإنسان المالك الأصلي للأرض.

كما لها أهمية كبيرة ولا سيّما للمشغلين في الدراسات التاريخية؛ إذ تعينهم في فهم كثير من مظاهر الحياة في الأزمنة القديمة؛ فأسماء الأماكن جزء من ذاكرة الشعوب، كما أن دراستها تزودنا بمعلومات عن الطبيعة الجغرافية والطوبوغرافية للمكان وبيئته القديمة، وتمدنا بمعلومات إضافية عن مراحل السكنى البشرية فيه وتنوعها.

تهدف هذه الورقة البحثية إلى تسليط الضوء حول البعد التاريخي للطوبونيميا وأهميتها العلمية، حيث قمنا بتعريف مصطلح الطوبونيميا، ثم التطرق للبعد التاريخي لها، بعدها ذكرنا أهم الأنواع والعلوم التي تعتمد عليها في البحث، ثم إدراج أهميتها العلمية. حيث توصلنا إلى أن البعد التاريخي من أهم الأبعاد المساهمة في البحث عن تاريخ ومعاني أسماء الأماكن الجغرافية والتحقيق فيها.

الكلمات المفتاحية: البعد التاريخي، الطوبونيميا، التاريخ، البحث العلمي، الأهمية العلمية.

Abstract:

Toponymy is an extensive study of the names of geographical flags in a field area associated with various natural and human phenomena s relationship with all spheres, Toponymy is the expression of a scientific research to find out the many paths of collective history, and is a powerful tool for demonstrating the historical root of the Earth's original human beings.

This paper aims to highlight the historical dimension of Toponymy and its scientific importance. We defined the term Toponymy, then touched on the historical dimension, then mentioned the most important species and sciences that depend on it for research, and then incorporated its scientific importance.



Keywords: Historical dimension, Toponymy, History, Scientific research, Scientific importance.

مقدمة:

تعتبر الطوبونيميا علم حديث يجمع بين عدة علوم كالجغرافيا واللسانيات وعلم الآثار والتاريخ وغيرها، وتهتم بدراسة أسماء الأماكن الجغرافية، تمنحنا فضاء واسع للتواصل مع الماضي والتطلع إلى الانسجام مع الذات والهوية، فهي ذلك الحيز الجغرافي، والمخزون اللغوي والشاهد التاريخي الذي يحفظ ذاكرة الأمة ويبقيها حية. لطالما اهتم كثير من العلماء منذ القديم بالطوبونيميا لأنه غالبا ما كان يشك في تأويلها ولم تكسب صفة العلم إلا في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، أي أن البدايات الأولى لعلم الطوبونيميا تبين أنه كان غربيا محضا وانتقل إلى العالم العربي بعد ترجمة مختلف مؤلفات العلماء الغرب، ولما وصل إلى العرب شرعوا في دراسته وتأسيس قواعد هذا العلم.

تعتبر الأسماء الجغرافية أداة منهجية وآلية علمية يمكن أن تكون لغوية، ويمكن أن تضيء بعض الجوانب المظلمة لمحتوى ومعنى النصوص المصدرية التي تكون بمثابة أساس للبحث، كما يمكن أن تكون مفيدة للبحث اللغوي في تحديد محتوى المكان. تعتبر أسماء المواقع الجغرافية علما يدرس أصول الأنثروبولوجيا اللغوية. أما بالنسبة للأسماء الصحيحة والمواقع الجغرافية لكل منطقة من مناطق العالم، فمن الطبيعي أن يكون لكل منطقة جغرافية اسم محدد، سواء كانت أسماء شخصيات معروفة أو الظواهر الطبيعية، ولكن من المؤكد أن كل اسم يرتبط بتاريخ أو حدث معين.

الغرض من البحث في أسماء الأماكن هو تسليط الضوء على أهمية دراسة قيمة أسماء الأماكن وعلاقتها بالبحث التاريخي، ومن ناحية أخرى، يدرس علم اللغة بعض جوانب الذاكرة المكانية على أساس الكشف عن كيفية استخدام الأدوات الطبوغرافية، وهذه خطوة نحو إعادة بناء ذاكرة المكان بناءً على اسمه المحدد للمكان، من حيث اسمه وعلاقته بالمجتمع وثقافته ولغته. ولا يمكن تحقيق ذلك دون الاعتماد على الأساليب العلمية المبنية على المعلومات والروايات والمصادر والمدونات المرجعية الموثقة بدقة، بناءً نظرية علمية واضحة من خلال نماذج اجتماعية وتاريخية وثقافية ولغوية.

1. مفهوم الطوبونيميا وبعدها التاريخي

1.2. مفهوم الطوبونيميا:

يعرف علم الطوبونيميا (Toponymy) "بالعلم الذي يهتم بدراسة أسماء الأماكن الجغرافية وتفسير معانيها واشتقاقاتها وأصولها اللغوية، والنطاق الجغرافي لانتشارها وتطورها التاريخي"¹. وهي كلمة إغريقية مركبة من كلمتين، الأولى (Topos) بمعنى المكان أو الأرض، و(Anuma) بمعنى الاسم، وهذا التخصص العلمي المتصل بالأعلام الجغرافية، "يعنى بدراسة أسماء الأماكن وأصولها، والبحث في معناها وتفسيرها، ورسم تحولاتها على مر العصور، أو بعض العصور، وتحديد قيمتها التراثية والفكرية، وملامح التغيير في أنساقها اللغوية"².

كما عرف "أنه من العلوم الموضوعية التي تهتم بإدماج المعطيات التاريخية في الواقع المعيشي، فهو علم الأعلام الجغرافية أو الأماكنية، كما أنه يمثل عنصرا مساعدا لكشف هوية المجتمعات والشعوب، واستعادة ذاكرتها الجماعية والثقافية".

وتشير قراءات شارل روستنغ (Charle Rostaing) إلى أن الطوبونيميا هو "العلم الذي يدرس مرجعية ومفهوم أسماء الأماكن وتطوراتها المتتالية"، ويضيف بأنها "تأخذ بعين الاعتبار أسماء الأماكن المأهولة، والمدن، يا والقرى، والأماكن المحلية، مثل تلك الموجودة في الجبال والأنهار، وهذه هي دراسة الأورونيم والهيدرونيميا"³. كما أنها "تمكننا من فهم الروح الشعبية، ميولها سواء كان أسطوريا أم حقيقيا، والوسائل التي تعبر بها"، فهي بذلك ليست تحقيق وثائق فقط، وإنما تعتبر من أهم الأدوات لحفظ اللغة والتاريخ والحضارة حتى يتسنى فهم ما قصده المجتمع وقراءة ثقافته واهتماماته وتطوراته⁴.

رغم أن الكتب التي تناولت أسماء الأماكن قديمة وكثيرة سواء عند العرب أو الغرب، ولطالما اهتم العلماء منذ القدم بالطوبونيميا، إلا أنها لم تكتسب صفة العلم إلا في عام 1870م مع مشروع وضع قواميس خرائطية لكل مقاطعة، فدرست كل مقاطعة بمقدار كبير من التفاصيل وتطوراتها التاريخية عبر القرون، إلا أن هذا المشروع لم ينجح إلا بالنسبة لثلاثين مقاطعة⁵.

¹ - مرشود علوان حسين الدوجان، الطوبونيميا التاريخية لمدينة جرش -دراسة في أسمائها وألقابها-، المملكة الأردنية الهاشمية، عمان، ط1، 2022، ص.09.

² - رضوان شهبان، الطوبونيميا المائية في جنوب ولاية الشلف قرية العثمانية نموذجا، مجلة الكلم، جامعة أحمد بن بلة -وهران- (الجزائر)، جوان 2022، المجلد 07، العدد 01، ص.865.

³ - زباني الصادق، التحولات الطوبونيمياية بالمجالات الكتامية من نهاية الفتح الإسلامي إلى نهاية القرن الهجري التاسع/15م-دراسة نماذج-، مجلة مدارات تاريخية، مركز المدار المعرفي للأبحاث والدراسات (الجزائر)، ديسمبر 2019، المجلد 01، العدد 04، ص.38-39.

⁴ - نادية حسناوي، طوبونيميا أسماء الأماكن الموجودة في ولاية عنابة -دراسة وصفية تحليلية-، الملتقى الوطني الأول حول "المعجم الطوبونيمي الرقي في الجزائر"، المجلس الأعلى للغة العربية (الجزائر)، 2021، ص.478.

⁵ - ليديا عزوز، دلالة أسماء الأماكن -ولاية البويرة أنموذجا-، مذكرة ماستر، المشرف: زاهية الوناس، جامعة أكلي محند أولحاج -البويرة- (الجزائر)، 2022، ص.05.



ويعد كتاب (أسماء أماكن فرنسا) الصادر عام 1920م، لصاحبه أوغست لونبون (August Longon) أول بحث منهجي منظم أسس لعلم المواقعية، ثم جاءت أبحاث شارل روستينغ (Charles Rostaing)، وألبرت دوزا (Albert Dauzat)، وإرنست ناغر (Ernest Nègre)، لتبين معالمه الرئيسية⁶.

2.2. البعد التاريخي للطوبونيميا:

يمكننا الجزم أن العلاقة التي تجمع بين الطوبونيميا والتاريخ هي علاقة مترابطة وطيدة إذ أن التاريخ هو مجال بحثي علمي يستهدف الإجابة عن الأسئلة التي تتعلق بجهود البشرية في الماضي. لأن للمواقعية والجغرافية التاريخية علاقة بهجرة الشعوب وانتقالاتها الديمغرافية وغزو الأقاليم والاستغلال ومراحل التعمير وتحرك السكان وتنقلهم والتنوع والتنظيم وتطبيق القوانين الجديدة عندما تصادف في منطقة ما تنتهي إلى حيز لغوي أسماء أماكنه تنتهي إلى لغة أجنبية فهنا يتطلب بحثا تاريخيا حتى يحدد أصلها وانتمائها⁷.

إن التعرض للأعلام الجغرافية بالبحث والتحقيق، خطوة تقر بأن الجغرافيا معطى ثابت في التاريخ إلى جانب معطيات أخرى، يستدعي ضرورة تناول أسمائها ودلالاتها، بما هي معالم تكشف عن جانب مهم من تاريخ المكان، وترسم سبل الوصول إلى التعرف على الحلقات المفقودة من تاريخها، مما يبرز جانبا بالغ الأهمية للطوبونيميا ليس في علاقتها بالمكان فحسب، بل حتى في علاقتها بسكان ذلك المكان.

فالمخزون اللغوي الجماعي أو الفردي الموروث أو المتداول أو المنسي لضبط الأعلام الجغرافية لا يجلبه لنا إلا التاريخ، بما هو ذاكرة حية بنصوصها ووثائقها وأسمائها، وهذا المخزون مهما علا رصيده لن يكون حاضرا إلا إذا استند على التاريخ لتجلية معانيه، مما يجعل البعد التاريخي حاضرا أثناء ضبط الأعلام الجغرافية، بعد يمثل المخزون الحي للاسم بما هو السياق التاريخي الذي صيغ فيه، ومجموع المؤثرات التي أسهمت في تثبيته.

كل مكان يحمل اسما محددًا، قد يحمل أكثر من اسم في نفس اللحظة، ليس من زاوية تعدد الأسماء للمكان الواحد، ليس من زاوية أن الأسماء الجديدة تنسخ الأسماء القديمة، فتبقى القديمة حاضرة في الذاكرة والتداول لفترة، بل لأن المكان قد يكون مجاله شاسعا، ليحمل جزء منه اسما باستقرار جماعة بشرية فيتحول المجال الشاسع إلى مجالين، والاسم الواحد إلى اسمين، مجال أول يحمل الاسم القديم بعد أن ضيقت مساحته، ومجال ثاني يحمل الاسم الجديد بعد أن تمت تسميته.

⁶ - رضوان شهبان، المرجع السابق، ص. 866.

⁷ - عبد الكريم بصديق، مدينة القلعة وطوبونيميا المجال في العصر الوسيط - إستقراء في النصوص التاريخية الوسيطة والمعطيات الأركيولوجية-، مجلة قبس للدراسات الإنسانية والاجتماعية، جامعة الوادي (الجزائر)، فيفري 2023، المجلد 07، العدد 01 (عدد خاص)، ص. 182.

فالأعلام الجغرافية يمكن أن توفر مادة مصدريّة ليتم اعتمادها في البحث التاريخي، لذلك فالاهتمام بهذه الأعلام هو اهتمام بالوثيقة بمفهومها الشامل، فهي عملية تواصل بين الزمان والمكان في الماضي والحاضر، ففي البعد التاريخي هو اهتمام بأسماء ناطقة قد تخبرنا عن عنصرها البشري، ومظهرها الاجتماعي والثقافي، وإنجازها الحضاري، ورصيدها التاريخي...، الذي لن يزيد الاسم إلا وضوحاً وضبطاً، وهذا مقصد الطوبونيميا⁸. فالأسماء الجغرافية تعتبر مصدر من مصادر التاريخ خاصة القديم والحضارات، لما لها من أهمية في إعطاء صورة عن النواحي الدينية والاجتماعية والسياسية السائدة. فمن الناحية الدينية يمكن معرفة أسماء الآلهة التي كانت سائدة في فترة ما ومناطق سيادتها.

وهناك بعض الأسماء الجغرافية التي تعكس المسحة العسكرية في العديد من البلدان المستعمرة، حيث قد تفقد الشعوب عن الاحتلال استقلالها السياسي وتخفي لغتها الأصلية، ويحدث اندماج بين الشعب الأصلي والمستعمر، لكن تلك الأسماء تحتفظ بآثار تلك اللغة حتى وإن يحدث فيها بعض التغيير والتحريف⁹.

2. أنواع الطوبونيميا وأهم العلوم التي تعتمد عليها

1.3. أنواع الطوبونيميا:

لا شك أن تسميات المعالم الجغرافية مختلفة، فقد تكون منفردة، في حين قد نجد تسميات مركبة، فالطوبونيميا ارتبطت بالكثير من المضامين، مما جعل الباحثون يحاولون تفصيلها، في أنواع محددة، ويمكن تلخيص هذه الأنواع فيما يلي:

✓ الأورونيم (Oronym): يهتم بدراسة الأسماء المتعلقة بالتضاريس (الجبل، الكاف، الذراع، الرأس، الثنية، الشعبة، الفج، الكدية).

✓ الهيدرونيم (Hydronym): تعرف بالطوبونيميا المائية، تدرس الأسماء المتعلقة بالمياه (العين، البئر، المنبع، الحمام، الوادي، الحاسي، الساقية، الفيض، العقلة، الداية، الحوض، السبخة، الشط، العنصر).

✓ الإثنونيم (Ethnonym): يدرس الأسماء المتعلقة بالعرق (الإثنية)، تستمد مرجعيتها من أصول مختلفة لكنها في الأخير كلها تشير إلى نوع واحد (شخصية قبلية، قبيلة، عشيرة)¹⁰، إضافة إلى أسماء الأماكن التي لها علاقة بالنبات والحيوان¹¹.

⁸ - سهام موساوي، مشروع المعجم الرقعي الطبونيمي، مجلة جسور المعرفة، جامعة حسية بن بوعلي - الشلف - (الجزائر)، نوفمبر 2021، المجلد 07، العدد 04، ص. 441-442.

⁹ - إبراهيم موسى الزقراطي، أسس الأسماء الجغرافية، المركز الجغرافي الملكي الأردني، عمان، 1997، ص. 07-08.

¹⁰ - عبد الكريم بصديق، المرجع السابق، ص. 181-182.

¹¹ - نادية حسناوي، المرجع السابق، ص. 482.



- ✓ **الأنثروبونيم (Anthroponymie):** يهتم بدراسة أسماء الأشخاص من زوايا النظر تختلف حسب مرجعيات الباحث، وهي ضرورة ملحة فيما يخص الموضوعية والشفافية عن تسمية الأشياء بمسمياتها المقدسة أو الدينية "أسماء المتصوفة، المرابطون، المشايخ، العلماء، الفقهاء".
- ✓ **الهجيونيم (Hagionyme):** يختص بدراسة أسماء المواقع المرتبطة بأسماء الأشخاص: وهناك حالتين: فقد يكون إسم الشخص لوحده المكون الوحيد للموقعية؛ في حين الحالة الثانية يكون فيها إسم الشخص جذر ثان مكون للموقعية، أي أن إسم المعلم الجغرافي مركب من إسم الشخص ودال آخر. ويحمل هذا الصنف تسمية: إبونيم (Eponyme)¹²، والذي يختص في أسماء الأولياء الصالحين والقديسين¹³.
- ✓ **الأدونيم (Odonyme):** يدرس أسماء الطرقات والشوارع والدروب¹⁴.

2.3. العلوم التي تعتمد عليها الطوبونيميا:

✓ اللسانيات

من أجل دراسة أسماء الأماكن لا يجب أن تخرج من القالب اللغوي، لأن هناك عدة أسباب منها ما يتعلق بجذر الكلمة، أو بشكلها المرفولوجي، هاذ الذي جعل ألبرت دوزا (Albert Dauzat) يؤكد أن "... دراسة أسماء الأماكن من اختصاص علماء اللسانيات وفق منهجهم اللغوي"¹⁵.

ذلك أن التسمية في الأصل لغوية، قد تتغير بتعاقب الأزمنة، والطوبونيمي لا بد له من التسليح بالمعرفة اللغوية التي تؤهله لمعرفة معاني الأسماء، وتحوراتها اللهجية، وتغيراتها عبر الأزمنة، وهذا هو أحد أهم الأعمال المنوطة بالباحث في مجال الطوبونيميا¹⁶.

فاللسانيات علم تعتمد عليه المواقعية في دراسة طوبونيمات حاملة لدلالات خاصة في المعجم، كما تدرس

¹² - عبد الكريم بصاديق، المرجع السابق.

¹³ - نادية حسناوي، المرجع السابق.

¹⁴ - لامية بوسعادة ومحمد نجيب مغني صنديد، نحو إنشاء معجم طوبونيمي لمدينة مستغانم وما جاورها، مجلة دراسات وأبحاث، جامعة زيان عاشور - الجلفة-(الجزائر)، أفريل 2023، المجلد 15، العدد 02، ص. 367.

¹⁵ - محمد منصورية ومصطفى تيجت، الطوبونيميا الأمازيغية في منطقة الأوراس: أسماء أماكن ذات البعد الجغرافي -دائرة رأس العيون نموذجاً-، مجلة الرسالة للدراسات والبحوث الإنسانية، جامعة العربي تبسي -تبسة- (الجزائر)، سبتمبر 2022، المجلد 07، العدد 05، ص. 81.

¹⁶ - رضوان شهبان، المرجع السابق.



اللغات واللهجات وتقوم بتصنيفها طبقا لموقعها الجغرافي¹⁷، فهي تسمح بالرجوع إلى الكتابات القديمة ومعرفة اشتقاق بعض الكلمات خصوصا حينما يتعلق الأمر بأصول جذرية، وأسماء الأماكن هي قبل كل شيء عناصر من اللغة لا تولد تلقائيا وإنما مختارة من المخزون المعجمي للغة¹⁸.

✓ الإتيولوجيا (أصول الكلمات)

عرف تشارلز بروكر (Charles Brucker) علم أصول الكلمات أنه "العلم الذي يدرس أصل الكلمات، أو عبارة أخرى العلاقة الشكلية والدلالية التي تربط الكلمة بوحدة أخرى تسبقها تاريخيا والتي تشتق منها"¹⁹.

✓ الجغرافيا

تحاول الجغرافيا شرح ما يربط الإنسان بوسطه، فأسماء الأماكن تعبر عن وجود مساحة ما في المكان في تأسيس موقعه بالنسبة لأماكن أخرى، كما أنها تبين لنا معلومات تتعلق أساسا إما بطبيعة المناخ وتقلباته أو الإنتاج الفلاحي والصناعي، أو حتى طبيعة الأرض ونوع فلاحتها، الأمر الذي يؤدي إلى ظهور أسماء الأماكن²⁰. فكل شعب يسمي وينظم مكانه حسب ثقافته لأن العلاقة التي تربط الإنسان بمكانه قد تكون بالتأكيد قوية وبذلك فمعرفة الوسط وتسميته تشكل عنصرا قويا من الفعل الثقافي، إذ أننا نجد بعض أسماء الأماكن تحمل دلالتها من طبيعة المكان وتضاريسه، فاختار الإنسان تسمية مناسبة مصدرها التسمية الأصلية، كالماء مثلا حيث فرقوا بين العين والوادي والبحيرة والبحر وأعطوا لكل عنصر تسميته الخاصة به حسب ميزته²¹.

✓ الاثنوغرافيا (علم الأجناس)

يهتم هذا العلم بدراسة الشعوب والأعراق، وما يتصل به من أنساب وعادات وتقاليد وربط العلاقات بينها، كما يهتم أيضا بدراسة الأديان المعاصرة وربطها بالماضي، والطوبونيميا يساعدها في معرفة أنساب القبائل والمجموعات التي تداولت على المكان، حيث تترك ألقابها وأسماء شخصيات منها، وتسميات لبعض فروعها، كشواهد دالة على مرورها منها في حقبة من حقبات التاريخ البعيد أو القريب. كما يساعد على فهم التطور اللغوي والحضاري لمختلف مناطق العالم وشعوبها²².

¹⁷ - لامية بوسعادة ومحمد نجيب مغني صنديد، المرجع السابق.

¹⁸ - بلعيد بن جبار وعامر يحيى، تسمية المساجد بالجزائر العاصمة من خلال خرائط المعهد الوطني للخرائط والكشف عن بعد INCT، الملتقى الوطني الأول حول "المعجم الطوبونيمي الرقمي في الجزائر"، المجلس الأعلى للغة العربية (الجزائر)، 2021، ص. 78.

¹⁹ - محمد منصورية ومصطفى تيجت، المرجع السابق، ص. 82.

²⁰ - لامية بوسعادة ومحمد نجيب مغني صنديد، المرجع السابق.

²¹ - بلعيد بن جبار وعامر يحيى، المرجع السابق، ص. 79.

²² - بكير باعمارة وأحمد امعيز الحاج أحمد، مدخل لطوبونيميا قصور مزاب - قصر آت مليشت نموذجاً - دراسة تاريخية، الملتقى الوطني الأول حول "المعجم الطوبونيمي الرقمي في الجزائر"، المجلس الأعلى للغة العربية (الجزائر)، 2021، ص. 324-325.



✓ علم الآثار

يهتم بدراسة ما تركه الإنسان من أشياء مادية كالأدوات التي صنعها من مواد خام لمواجهة متطلبات الحياة من معيشة ومسكن...، وانطلاقاً من أن هذه الأدوات تبقى بعدهم أثراً دالاً على تجربة مؤرخة عصره، وعلاقة علم الآثار بالطوبونيميا تتمثل في كون علم الآثار يقدم بعض التفسيرات والمعلومات الهامة للدراسة الواقعية، فالشعوب والحضارات التي تمر على بلد ما تبقى آثارها ورسومها بادية في الأماكن.

✓ السياسة

تحتاج الطوبونيميا من هذا العلم مجالاً واحداً وهو آلية الاستعمال ومدى تأثيره على الأسماء الجغرافية، كما جرى في بعض الدول التي استعمرت في بدايات القرن الماضي من قبل الأوروبيين، فقاموا بإطلاق أسماء جديدة تتخذها بلغتهم على المناطق المستعمرة²³.

3. الأهمية العلمية للطوبونيميا

عند ظهور علم الطوبونيميا وانتشاره في العالم عكف الكثير من العلماء على دراسته والاستفادة منه لخدمة أمتهم والحفاظ على آثارهم المتبقية فوجدوا أنه يكتسي أهمية بالغة في جميع الدراسات المتنوعة سواء كانت جغرافية أو تاريخية أو لسانية...، وتكمن هذه الأهمية في جميع مجالات الحياة البشرية أكانت ثقافية أو سياسية أو حضارية²⁴.

يعد علم الطوبونيميا علماً قائماً متفرداً بذاته، وله أهمية كبيرة، ولا سيما للمشتغلين في الدراسات التاريخية؛ إذ تعينهم في فهم كثير من مظاهر الحياة في الأزمنة القديمة؛ فأسماء الأماكن جزء من ذاكرة الشعوب، كما أن دراستها تزودنا بمعلومات عن الطبيعة الجغرافية والطوبوغرافية للمكان وبيئته القديمة، كما تُمدنا بمعلومات إضافية عن مراحل السكنى البشرية فيه وتنوعها.

ولها أهمية في الأبحاث التي تُعنى بدراسة اللغات واللهجات القديمة وعلم اللغة المقارن، والتي تعيننا بدورها على الإحاطة بالجوانب الثقافية والدينية والاجتماعية والسياسية والحضارية المختلفة للمكان وسكانه. وغالباً ما تكون الأسماء الجغرافية قديمة لأنها تعود إلى زمن موغل في القدم. وهي أكثر ما تكون وصفاً لطبيعة الأرض والمكان، وهذا الوصف يلزمها ولا يتغير في الغالب²⁵.

²³ - ليديا عزوز، المرجع السابق، ص. 11، 13.

²⁴ - يمينه ناصر وحكيمة بنور، المعجم الطوبونيمي المستغاني - أسماء الدوائر أنموذجاً، مذكرة ماستر، المشرف: مختارية بن قلبية، جامعة عبد الحميد بن باديس - مستغانم - (الجزائر)، 2020، ص. 15.

²⁵ - زياد مهدي السلامين وإخلاص خالد القنانوة، الطوبونيميا النبطية - دراسة في أسماء المواقع الجغرافية في ضوء المصادر التاريخية ومخطوطات البحر الميت، المملكة الأردنية الهاشمية، مطبعة السفير، عمان، 2021، ص. 15.



كما أنها تساعد على تحديد الهوية، وتهدف إلى تحصيل المعرفة بالإنسان ومحيطه الاجتماعي والثقافي، ويؤدي البحث في هذا العلم إلى إحياء الذاكرة الجماعية وبناء الهوية الثقافية، بشرط توفر أحد أبرز قواعد البحث في هذا المجال وهي استحضار كل الألسن المتداولة²⁶.

فهي تساهم في حفظ الهوية التاريخية والثقافية للأماكن، وجعلها في متناول الباحثين في مختلف التخصصات عند الرجوع بالبحث والتنقيب عن أصل، مدلول ومعنى اسم المكان وفي السياق ذاته، للطوبونيميا دور محوري ورئيسي في تحقيق وقراءة العديد من النصوص الجغرافية والتاريخية، أين تكثر الأعلام الجغرافية المذكورة في تلك النصوص والمخطوطات، وأحيانا لا يمكن فهم هذه الأخيرة إلا عند ضبط وفهم تلك الأعلام ودلالاتها.

أي أنها تشكل مفاتيح لفهم النصوص وهكذا تتعدى أهمية هذا العلم من حفظ أو صيانة تاريخ المكان، إلى مساعدة المؤرخين على فهم وتفسير محتوى النصوص التاريخية والمخطوطات القديمة ذلك لأن البحث في أصول، معاني ودلالات أسماء المعالم الجغرافية يساهم في فهم وإدراك تفاصيل الأحداث التاريخية والوقائع الاجتماعية الحاصلة في مجال أو رقعة جغرافية محددة²⁷.

4. خاتمة:

تعتبر معرفة الأماكن وخصائصها الجغرافية من أهم العوامل التي تساعد في فهم معاني ودلالات تلك الأسماء التي أطلقت على هذه الأماكن، خاصة وأن الكثير منها لها علاقة بجغرافية المكان أو طبيعته. كما تتخذ الطوبونيميا عدة أبعاد منها البعد التاريخي الذي يبحث في تاريخ ومعاني أسماء الأماكن الجغرافية، ويكون حاضرا عند ضبطها والتحقيق فيها، حيث يمثل المخزون الحي للاسم الجغرافي بما هو السياق التاريخي الذي صيغ فيه، لأن حركة التاريخ البشرية لها علاقة بالأماكن الجغرافية.

وبذلك نتوصل الى الاقتراحات التالية:

-منح الطوبونيميا المزيد من الأهمية من خلال تصنيفها من دعائم التراث الثقافي غير المادي التي تستدعي البحث والدراسة، مما يسمح بصون هذا التراث وتثمينه.

-تسليط الضوء على بعض المعالم المهملة لفهم دلالاتها وحفظها تدويناً لعدم نسيانها مع مرور الزمن.

-ضرورة البحث الميداني في هذا المجال وإعطاء أهمية للبحث الطوبونيمي لأسماء الأماكن خاصة من طرف المختصين والباحثين في تاريخ وجغرافية المكان.

²⁶ - زياني الصادق، المرجع السابق.

²⁷ - العربي بن أعمارة، تجليات التنوع الثقافي واللغوي في الجزائر: الطوبونيميا أنموذجا، مجلة معالم، المجلس الأعلى للغة العربية (الجزائر)، جانفي 2022، المجلد 12، العدد 02، ص. 122.



-ضرورة إعطاء مكانة كبيرة للطوبونيميا ضمن البحوث العلمية والحديثة.

5. ببليوغرافيا:

1- الكتب:

1. إبراهيم موسى الزقراطي، أسس الأسماء الجغرافية، المركز الجغرافي الملكي الأردني، عمان، 1997.
2. زياد مهدي السلامين وإخلاص خالد القنانوة، الطوبونيميا النبطية -دراسة في أسماء المواقع الجغرافية في ضوء المصادر التاريخية ومخطوطات البحر الميت-، المملكة الأردنية الهاشمية، مطبعة السفير، عمان، 2021.
3. مرشود علوان حسين الدوجان، الطوبونيميا التاريخية لمدينة جرش -دراسة في أسمائها وألقابها-، ط1، المملكة الأردنية الهاشمية، عمان، 2022.

2- المذكرات:

1. ليديا عزوز، دلالة أسماء الأماكن -ولاية البويرة أنموذجا-، مذكرة ماستر، المشرف: زاهية الوناس، جامعة أكلي محند أولحاج -البويرة-، الجزائر، 2022.
2. يمينة ناصر وحكيمة بونور، المعجم الطوبونيمي المستغاني -أسماء الدوائر أنموذجا-، مذكرة ماستر، المشرف: مختارية بن قبلية، جامعة عبد الحميد بن باديس -مستغانم-، الجزائر، 2020.

3- الملتقيات العلمية:

1. بكير باعمارة وأحمد امعيز الحاج أحمد، مدخل لطوبونيميا قصور مزاب -قصر آت مليشت أنموذجا- دراسة تاريخية، الملتقى الوطني الأول حول "المعجم الطوبونيمي الرقمي في الجزائر"، المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر، 2021.
2. بلعيد بن جبار وعامر يحيواوي، تسمية المساجد بالجزائر العاصمة من خلال خرائط المعهد الوطني للخرائط والكشف عن بعد INCT، الملتقى الوطني الأول حول "المعجم الطوبونيمي الرقمي في الجزائر"، المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر، 2021.
3. نادية حسناوي، طوبونيميا أسماء الأماكن الموجودة في ولاية عنابة -دراسة وصفية تحليلية-، الملتقى الوطني الأول حول "المعجم الطوبونيمي الرقمي في الجزائر"، المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر، 2021.

4- المجلات:

1. رضوان شيهان، "الطوبونيميا المائية في جنوب ولاية الشلف قرية العثامنة أنموذجا"، مجلة الكلم، جامعة أحمد بن بلة -وهران-، الجزائر، المجلد 07، العدد 01، جوان 2022.
2. سهام موساوي، "مشروع المعجم الرقمي الطوبونيمي"، مجلة جسور المعرفة، جامعة حسيبة بن بوعلي -الشلف-، الجزائر، المجلد 07، العدد 04، نوفمبر 2021.



3. الصادق زياتي، "التحولات الطوبونيمية بالمجالات الكتامية من نهاية الفتح الإسلامي إلى نهاية القرن الهجري التاسع/15م-دراسة نماذج-"، مجلة مدارات تاريخية، مركز المدار المعرفي للأبحاث والدراسات، الجزائر، المجلد 01، العدد 04، ديسمبر 2019.
4. عبد الكريم بصديق، "مدينة القلعة وطوبونيميا المجال في العصر الوسيط -إستقراء في النصوص التاريخية الوسيطة والمعطيات الأركيولوجية-"، مجلة قدس للدراسات الانسانية والاجتماعية، جامعة الشهيد حمه لخضر -الوادي-، الجزائر، المجلد 07، العدد 01 (عدد خاص)، فيفري 2023.
5. العربي بن أعمارة، "تجليات التنوع الثقافي واللغوي في الجزائر: الطوبونيميا أنموذجا"، مجلة معالم، المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر، المجلد 12، العدد 02، جانفي 2022.
6. لامية بوسعادة ومحمد نجيب مغني صنديد، "نحو إنشاء معجم طوبونيمي لمدينة مستغانم وما جاورها"، مجلة دراسات وأبحاث، جامعة زيان عاشور -الجلقة-، الجزائر، المجلد 15، العدد 02، أفريل 2023.
- محمد منصورية ومصطفى تيجت، "الطوبونيميا الأمازيغية في منطقة الأوراس: أسماء أماكن ذات البعد الجغرافي -دائرة رأس العيون نموذجا-"، مجلة الرسالة للدراسات والبحوث الإنسانية، جامعة العربي تبسي -تبسة-، الجزائر، المجلد 07، العدد 05، سبتمبر 2022.